أسباب الشكر وأساليب التوجيه إليه في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Reasons for gratitude and methods of directing it in the Holy Qur'an
Objective study

إعداد

د/ محمد بن عبد الله الوزره الدوسري

قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أسباب الشكر وأساليب التوجيه إليه في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

محمد بن عبد الله الوزره الدوسري
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : Muhammad Al-Dosari@gmail.com

الملخص
فهذه دراسة تتناول موضوع (أسباب الشكر وأساليب التوجيه إليه في القرآن الكريم دراسة موضوعية) ،وقد قسمته إلى :مقدمة، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة.
المقدمة وتتضمن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وحدود البحث، وأسئلتة، وأهدافه ، والدراسات السابقة، وخطة البحث ،ومنهجه.
التمهيد : أهمية الشكر.
– الفصل الأول: أسباب الشكر.
المبحث الأول: الأسباب الموجبة للشكر.
المبحث الثاني: أسباب الإعراض عن الشكر.
– الفصل الثاني: أساليب القرآن في الدعوة إلى الشكر.
المبحث الأول: أسلوب الأمر بالشكر والنهي عن ضده.
المبحث الثاني: أسلوب التفصيل في أسباب الشكر.
المبحث الثالث: أسلوب القصة وضرب المثل.
المبحث الرابع: أسلوب بيان عاقبة الشكر وعدمه.
الخاتمة: وضمنت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث، ومن أبرزها ما يلي :
١– أن أهل شكر الله هم أهل زيادته.
٢– أن الشكر الحقيقي لله جل وعلا ؛ إذ حياة القلوب في معرفته ومحبته، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته، والقيام بخدمته.
٣– أن الشكر من كلمات القرآن الخالدة، ومصطلحات الشرع المقررة، ومن الألفاظ الإسلامية الشائعة، ومن شيم المسلمين العالية.
٤– أن الشكر واجب على كل مسلم؛ لورود الأمر الصريح به، والنهي عن ضده.
٥– أن الشكر مرتبط بسببه، وهو وجود النعمة، ونعم الله لا تعد ولا تحصى، فوجب دوام عبادته وشكره.

الكلمات المفتاحية : أسباب ، الشكر ، أساليب ، التوجيه ، القرآن الكريم .

Reasons for gratitude and methods of directing it in the Holy Qur'an
Objective study

Muhammad bin Abdullah Al-Wazra Al-Dosari
Department of the Qur'an and its Sciences - College of Fundamentals of Religion - Imam Muhammad bin Saud Islamic University - Kingdom of Saudi Arabia
E-mail : Muhammad Al-Dosari@gmail.com

Abstract:
Praise be to God alone, and prayers and peace be upon the one after whom there is no prophet, and after:
This is a study that deals with the topic (Reasons for gratitude and methods of directing it in the Holy Qur'an, an objective study), and I divided it into: an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion.
The introduction includes: the importance of the topic, the reasons for choosing it, the limits of the research, its questions, its objectives, previous studies, the research plan, and its methodology.
Introduction: The importance of gratitude.
-Chapter One: Reasons for gratitude.
The first topic: Reasons for gratitude.
The second topic: Reasons for turning away from gratitude.
-Chapter Two: The Qur'an's methods of calling for gratitude.
The first topic: The method of enjoining gratitude and forbidding its opposite.
The second topic: the method of detailing the reasons for gratitude.
The third topic: Story style and proverbs.
Section Four: The method of explaining the consequences of gratitude and its lack.
Conclusion: I included the most important results that I reached in this research, the most prominent of which are the following:
1 -The people who thank God are the people of His increase.
2 -True gratitude is to God Almighty. The life of hearts is in knowing and loving Him, and the perfection of limbs is in drawing closer to Him by obeying Him and serving Him.
3 -Gratitude is one of the immortal words of the Qur'an, the established terms of Sharia law, one of the common Islamic expressions, and one of the high morals of Muslims.
4 -Giving thanks is obligatory for every Muslim; Due to the explicit command for it and the prohibition against it.
5 -Gratitude is linked to its reason, which is the presence of grace, and God's blessings are countless, so it is necessary to constantly worship and thank Him.
Keywords: The Qur'an - gratitude - reasons - methods - orientation.

المقدمة

الحمد لله الذي بيده تصريف الأمور، العليم بما يجري في الظاهر، وما تحويه الصدور. أحمده حمداً يليق بكماله، ويسمو إلى عظيم ذاته وعليّ جلاله.

وأشكره على ما هدى وأهدى، وأنعم وأسدى، وأظهر من فضل وأبدى.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، إمام المتقين الشاكرين، وحامل لواء الحمد يوم الدين. أما بعد:

فلقد تأملت في حالي ومن حولي فإذا بالنعم لا تحصى ولا تعد، والألطاف تتوالى بدون انقطاع ولا حد.

ووجدت في المقابل إعراضاً وصدّاً عن الشكر لله الواحد الأحد ، فعزمت على تقديم بحث في موضوع الحمد والشكر.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وكان من أبرز الأسباب التي دعتني إلى اختيار الموضوع ما يلي:

١.أهمية موضوع الشكر في نظر الدين والمجتمع.

٢.أن الله أمر به، ونهى عن ضده،

٣.أثنى الله تعالى على أهله، ووصف به خواص خلقه،

٤. أن الله جعله الغاية من خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه

٥.جعله الله سبباً للمزيد من فضله، وحافظاً لنعمه، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته.

٦.أن الله اشتق له اسماً من أسمائه، وجعله طريقاً لسعادتهم في الدنيا ويوم لقائه

حدود البحث:

جمع آيات الشكر ودراستها دراسة موضوعية

أسئلة البحث:

١. ما المقصود بالشكر ؟

٢. ما أسباب الشكر ؟ وما فوائده؟

٣. ما أساليب الشكر في القرآن الكريم ؟

أهداف البحث:

١.جمع الآيات التي تتناول الحديث عن الشكر في القرآن الكريم.

٢. دراسة الآيات أسباب الشكر وأساليبه في القرآن الكريم.

٣. إبراز منهج القرآن الكريم في دعوته الناس إلى الشكر.

خطة البحث

ولقد كانت خطة البحث على النحو التالي:

مقدمة، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة.

المقدمة: وفيها ذكرت أهمية الموضوع، والأسباب التي دعتني لاختياره، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد : أهمية الشكر.

الفصل الأول: أسباب الشكر،وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الموجبة للشكر.

المبحث الثاني: أسباب الإعراض عن الشكر.

الفصل الثاني: أساليب القرآن في الدعوة إلى الشكر،وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الأمر بالشكر والنهي عن ضده.

المبحث الثاني: أسلوب التفصيل في أسباب الشكر.

المبحث الثالث: أسلوب القصة وضرب المثل.

المبحث الرابع: أسلوب بيان عاقبة الشكر وعدمه.

الخاتمة: وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها.

– ثبت المصادر والمراجع.

- منهج البحث :

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي المستمد من القرآن الكريم جمعًا ودراسةً، وذلك وفق الآتي:

١- جمعت الآيات المتصلة بالحمد والشكر وقمت بدراستها وفق خطة البحث.

٢- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني، على رواية حفص عن عاصم، ورقّمت الآيات بالعدّ الكوفي، وعزوتها إلى السور الواردة فيها.

٣- خرجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث، من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا ذكرت أقول المحدثين فيها وحكمهم عليها.

٤- عزوت الأبيات الشعرية إلى قائليها مع توثيقها .

٥- وثقت النقل وعزوت إلى من نقلت عنه في الهامش.

٦- اعتنيت بضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط بالشكل، مع شرح الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى شرح.

٧- كان التركيز في هذا البحث على شكر الخالق جل وعلا دون شكر المخلوق؛ لأن مرد كل نعمة من منعم فإليه جل ذكره.

وبعد، فهذا عرض سريع لما بسطته في البحث الذي أحمد الله وأشكره على أن أعانني على إتمامه ، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين.

التمهيد: أهمية الشكر

الشكر: منزلة رفيعة، ومكانة مجيدة، وهو دليل على الرقي والحضارة، ويتضح ذلك في النقاط التالية:

١ – إن الله تعالى افتح كتابه بحمده وشكره[١]، فقال في أول سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٢].

٢ – إن الله قرن الشكر بالإيمان، فقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[٣].

فالشكر نصف الإيمان، فالإيمان صبر وشكر، والعبد يتقلب بينهما كما في الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[٤].

والشكر سبب للإيمان، يقول الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[٥].

فقدم الشكر على الإيمان؛ لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها، ثم يؤمن بالمنعم، فكان الشكر سبباً للإيمان متقدماً عليه، ويحتمل أن يكون الشكر متضمناً للإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيداً له واهتماماً به[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٥٠).

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

(٣) سورة النساء: ١٤٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨ /٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩) (كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير) .

(٥) سورة النساء: ١٤٧.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/٢١٦).

٣ – إن الشكر هو البرهان على العبودية الخالصة لله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (١).

فدلت الآية على أن من لم يشكر الله لم يعبده وحده، كما أن من شكره فقد عبده وحده وأتى بما أمر به(٢).

٤ – إن الشكر من الوصايا التي وصى الله بها عباده(٣).

فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (٤).

٥ – إن توفية شكر الله تعالى صعبة أو ممتنعة(٥).

يقول الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (٦).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ (٧).

فالشكر صفة الصفوة من عباد الله، ولذلك لم يُثْنِ الله جل علا بالشكر إلا على اثنين من أوليائه(٨).

---

(١) سورة البقرة: ١٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١٣٢/١)، وانظر: جامع البيان للطبري(٨٨/٢).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٧٣/٢)، وانظر: عدة الصابرين لابن القيم (١٥٣).

(٤) سورة لقمان: ١٤.

(٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (٣٢٦/٢).

(٦) سورة سبأ: ١٣.

(٧) سورة البقرة: ٢٤٣.

(٨) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (٢٦٥).

الأول: خليله إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

والثاني: نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (٢).

(٢).

ولما علم الله جل ذكره كثرة نعمه على عباده، وعجزهم عن القيام بواجب حمده وشكره، حمد نفسه بنفسه؛ لتكون النعمة أهنأ لديهم، حيث أسقط عنهم به ثقل المنة(٣)، فقال جل ذكره: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤).

(٤).

وأظهر الرسول ﷺ ذلك العجز بقوله: «**لا أحصي ثناء عليك**»(٥).

٦ – إن الله سبحانه أثنى بالشكر على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض(٦)، الأرض(٦)، فقال: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

(٧).

---

(١) سورة النحل : ١٢١.

(٢) سورة الإسراء: ٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٥١).

(٤) سورة الفاتحة: ٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢ /٥١) برقم: (٤٨٥) (كتاب الصلاة ، باب ما يقال يقال فِي الركوع والسجود)، ومالك في الموطأ (١ / ٢٩٩) برقم: (٧٢٥ / ٢٣٨) (كتاب القرآن ، ما جاء في الدعاء) وابن خزيمة في صحيحه (١ / ٦٦٩) برقم: (٦٥٤)

(كتاب الصلاة ، باب ضم العقبين في السجود).

(٦) عدة الصابرين لابن القيم (١٥٢).

(٧) سورة الإسراء: ٣.

٧ – أن رسولنا محمداً ﷺ هو صاحب لواء الحمد، ففي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**بيدي لواء الحمد**» (١).

وأمته هم الحمادون، الذين يحمدون الله على السراء والضراء(٢).

٨ – إن الشكر من أخلاق النبوة(٣).

يقول تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾(٤).

ويقول عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (٥).

ويقول عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾(٦).

ويقول عن محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ (٧)، أي: لتجهد نفسك وتحملها فوق طاقتها، وذلك أنه عليه

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٦ / ١١) برقم: (٣٦١٥) (كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي صلى الله عليه وسلم)وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه في سننه (٥ / ٣٦٢) برقم: (٤٣٠٨) (أبواب الزهد ، باب ذكر الشفاعة)، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٢٧٠) برقم: (١١١٤٣) (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه) ، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند ، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير للطبراني(٣٠٩/١).

(٢) التحفة العراقية في أعمال القلوب لابن تيمية (٥٩).

(٣) موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي (١١٩/١).

(٤) سورة النحل: ١٢١.

(٥) سورة الإسراء: ٣.

(٦) سورة النمل: ٤٠.

(٧) سورة طه: ١ – ٢.

الصلاة والسلام بالغ في عبادة ربه، حتى كان يراوح بين قدميه لطول قيامه[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: عندما تفطرت قدماه ^ من القيام، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « **أفلا أكون عبداً شكوراً؟** » [٢].

فالشكر خلق ومنهج لكل نبي ومرسل.

٩ – إن الشكر واجب شرعاً وعقلاً.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [٣].

فالآية دليل على وجوب الشكر؛ لقوله سبحانه: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [٤].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي(١٨٨/٥).والحديث: أخرجه أبو داود في سننه (١ / ٥٢٧) برقم: (١٣٩٣) (كتاب الصلاة ، باب تحزيب القرآن)، وابن ماجه في سننه (٢ / ٣٦٩) برقم: (١٣٤٥) (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب في كم يستحب يختم القرآن)، وضعفه شعيب الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود(٥٤١/٢)، وفي تحقيق سنن ابن ماجه (٣٦٩/٢)،وكذا ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود(٦٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢ / ٥٠) برقم: (١١٣٠) (أبواب التهجد ، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل حتى ترم قدماه) ، ومسلم في صحيحه (٨ /١٤١) برقم: (٢٨١٩) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب إكثار الْأعمال والاجتهاد فِي العبادة) .

(٣) سورة البقرة: ١٧٢.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٩٤/١).

ويقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (١).

ففي الآية إظهار المنة منه تعالى على من أنعم عليه وهو عبده لقمان، وبمقتضى المقام وسياق الكلام: يترتب وجوب الشكر على المنعم عليه بمجرد حدوث النعمة ووجودها.

فكان من الواجب عقلاً شكر كل نعمة لمن أسداها؛ لأنه تفضل وإحسان، وهو من الحكمة وإلا لسد باب المعروف والإحسان بين الخلق.

وكان من الواجب شرعاً: للعلة المنصوصة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾.

١٠ – إن الله تعالى أخبر أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره(٢)، فقال جل ذكره: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

وقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (٤).

١١ – إن الله تعالى ابتلانا بالنعم لحكمة هي معرفة من يشكره فيعبده، ممن يكفره فيجحده، قال سبحانه بعد ذكره قصة كفر قوم سبأ بنعم الله

(١) سورة لقمان: ١٢.
(٢) عدة الصابرين لابن القيم (١٥٤).
(٣) سورة النحل: ٧٨.
(٤) سورة البقرة: ١٥١ – ١٥٢.

عليهم: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (١).

وقال عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾(٢).

١٢ – إنه لما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات، جعل غايته السعي في قطع الناس عنه(٣).

قال تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (٤).

فالصراط المستقيم هو: طريق الشكر(٥).

١٣ – أن الله قطع بالمزيد مع الشكر ولم يستثن، فقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٦).

واستثنى في خمسة أشياء: في الإغناء، والإجابة، والرزق، والمغفرة، والتوبة(٧).

فقال في الإغناء: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾(١).

---

(١) سورة سبأ: ٢٠ – ٢١.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

(٣) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (٢٨٦).

(٤) سورة الأعراف: ١٦ – ١٧.

(٥) الشكر لأبي حامد الغزالي (١٠).

(٦) سورة إبراهيم: ٧.

(٧) زاد المسير لابن الجوزي(١١).

وقال في الإجابة: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

وقال في الرزق: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣).

وقال في المغفرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤).

وقال في التوبة: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٥).

١٤ – إن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه، وأمر به، فقال سبحانه: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (٦).

مع أنه تعالى عظم الذكر حيث قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(٧).

فصار الشكر أكبر؛ لاقترانه به(٨).

=

(١) سورة التوبة: ٢٨.

(٢) سورة الأنعام: ٤١.

(٣) سورة البقرة: ٢١٢.

(٤) سورة النساء: ٤٨.

(٥) سورة التوبة: ١٥.

(٦) سورة البقرة: ١٥٢.

(٧) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٨) سراج الطالبين لإحسان محمد (٤٥٢/٢).

١٥ – أن الله تعالى قسم الناس إلى شكور وكفور، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [١].

وقال سبحانه حكاية عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾[٢].

١٦ – إن الله تعالى ذم الكنود، وهو الذي لا يشكر نعمه، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [٣] أي: يذكر المصائب، وينسى النعم[٤].

١٧ – إن الشكر والحمد صفة أهل الجنة[٥]، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ [٦] ، ويقول: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٧].

١٨ – إن الشكر صفة من صفات الربوبية[٨].

ولذلك فقد سمى الله نفسه (شاكراً وشكوراً)،وسمى الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين[١].

---

(١) سورة الإنسان: ٣.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

(٣) سورة العاديات: ٦.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٩/٤٤٤).

(٥) الشكر لأبي حامد الغزالي (١١).

(٦) سورة فاطر: ٣٤.

(٧) سورة يونس: ١٠.

(٨) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي(٢/٣٤٠).

يقول الله تعالى عن نفسه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (٢).

ويقول عن عبده إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

ويقول عن نفسه جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٤).

ويقول عن عبده نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٥).

١٩ – إنه بالشكر يحصل للعبد سعادة الدنيا والآخرة؛ إذ بالشكر يدوم الخير، ويزول الشر.

٢٠ – ولأهمية الشكر فقد سن في الشريعة الإسلامية سجود الشكر عند تجدد النعم، واندفاع النقم(٦).

فعن أبي بكرة رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه أمر يسر به خرّ ساجداً**» (٧).

=

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٧٣)، وانظر: جامع البيان للطبري (١/٩٠).

(٢) سورة النساء: ١٤٧.

(٣) سورة النحل: ١٢٠ – ١٢١.

(٤) سورة التغابن: ١٧.

(٥) سورة الإسراء: ٣.

(٦) منار السبيل في شرح الدليل للضويان (١/١١١).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه (٣ / ٢٣٤) برقم: (١٥٧٨) (أبواب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في سجدة الشكر) ،وقال: (حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وابن ماجه في سننه (٢ / ٤٠٢) برقم: (١٣٩٤) (أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر) ، وأبو داود في سننه (٣ / ٤٤) برقم: (٢٧٧٤) (كتاب الجهاد ، باب في سجود الشكر)، و الحاكم في مستدركه (١ /٢٧٦) برقم: (١٠٣٠) (كتاب =

وسجد كعب بن مالك ﷺ لما بشر بتوبة الله عليه(١).

٢١ – إن التوفيق للشكر هو من الأدعية التي ورد الحث عليها.

فقد دعا سليمان عليه السلام ربه أن يعينه ويوفقه للقيام بشكره.

قال تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

وفي الحديث: « **أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ ﷺ يا معاذ ؛ إني أحبك، فقلت: وأنا أحبك يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: فلا تدع أن تقول في كل صلاة: رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** » (٤).

=

الإمامة وصلاة الجماعة ، سجدة الشكر)،وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَإِنْ لَمْ يُخَرِّجَاهُ،وقال الذهبي :صحيح، وحسنه الألباني في إرواء الغليل(٢/٢٢٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤ / ٧) برقم: (٢٧٥٧) (كتاب الوصايا ، باب إذا تصدق أو أوقف بعض ماله) ، ومسلم في صحيحه (٢ / ١٥٦) برقم: (٧١٦) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب الركعتين فِي المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه) .

(٢) سورة النمل: ١٩.

(٣) سورة الأحقاف: ١٥.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١ / ٧٣٢) برقم: (٧٥١) (كتاب الصلاة ، باب الأمر بمسألة الرب عز وجل في دبر الصلوات) وابن حبان في صحيحه (٥

=

الفصل الأول : أسباب الشكر

المبحث الأول: الأسباب الموجبة للشكر

إن الله تعالى له الملك والخلق كله: السماوات، والأرضون، ومن فيهن وما بينهن، مما يعلم، ومما لا يعلم[(١)]، يقول جل ذكره: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)].

وبهذا يعلم أن نعم الله التي يجب الشكر عليها لا تعد ولا تحصى، ويقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [(٣)].

=

/٣٦٤) برقم: (٢٠٢٠) (كتاب الصلاة ، ذكر الاستحباب للمرء أن يستعين بالله جل وعلا على ذكره وشكره وحسن عبادته عقيب الصلوات المفروضات) ، والحاكم في مستدركه (١ / ٢٧٣) برقم: (١٠١٥) (كتاب الإمامة وصلاة الجماعة ، الدعاء بعد الصلاة) ، والنسائي في السنن الكبرى (٢ / ٨٠) برقم: (١٢٢٧) (كتاب المساجد ، نوع آخر من الدعاء) ، وأبو داود في سننه (١ / ٥٦١) برقم: (١٥٢٢) (كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير للطبراني (٢/١٣٢٠).

(١) جامع البيان للطبري(٩٣/١).

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.

ساق الله جل وعلا ألواناً من نعمه التي تستوجب شكره وطاعته وإخلاص العبادة له والتي تدل على كمال قدرته وعلمه ووحدانيته .

أي: الله تعالى وحده هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهما من أجرام علوية وسفلية بدون مثال سابق.

وافتتحت الآية الكريمة بلفظ الجلالة، لما في ذلك من تربية المهابة، ومن لفت أنظار المشركين إلى ما هم فيه من ضلال حتى يقلعوا عنه(١).

وأختار هنا بعضاً من ألوان النعم التي أنعم الله بها على عباده؛ لأن المجال ليس مجال استقصاء، بل إن الإنسان عاجز عن ذكر هذه النعم، وإن أمضى حياته في ذلك.

ويمكن حصر هذه النعم من حيث العموم في خمس نعم، وهي كالتالي:

١- نعمة الخلق والإيجاد.

٢- نعمة الرزق والتسخير.

٣- نعمة الهداية والتوفيق.

٤- نعمة العبادة والتشريع.

٥- نعمة الفوز والنجاة(٢).

أولاً: نعمة الخلق والإيجاد:

١- لقد خلق الله جل وعلا الإنسان من عدم، فقال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٥٨/١٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٤٥/١).

فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)، وقال: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢).

٢- وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٣).

فذكر هذه الأعضاء دون غيرها لعظم منافعها(٤).

٣- ونفخ فيه من روحه، وأخضع له ملائكته، فقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (٥).

٤- وجعله صحيحاً سليماً معافىً في بدنه، قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (٦)، أي: الصحة(٧).

ويقول الرسول ﷺ: «**من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(٨).

---

(١) سورة الواقعة: ٥٨-٦٢.

(٢) سورة الإنسان: ١-٣.

(٣) سورة المؤمنون: ٧٨.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٧٦/٢).

(٥) سورة ص: ٧٢.

(٦) سورة التكاثر: ٨.

(٧) زاد المسير لابن الجوزي(٣٠٢/٨).

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه (٤ / ١٦٨) برقم (٢٣٤٦)، (كتاب: الزهد باب: ...)،وقال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية. وأخرجه ابن ماجه في سننه (٥ /٢٥٣) برقم: (٤١٤١) (أبواب الزهد ، باب القناعة =

٥- وأكسبه العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (١).

فبين سبحانه أنه أخرجهم من بطون أمهاتهم جهالاً بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم؛ ليعبدوه ولا يكفروه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ ﴾(٢).

فبين سبحانه نعمته على عبده لقمان، حيث رزقه الحكمة التي هي العلم بالحق على وجهه وحكمته، وأمره بشكرها ليبارك له فيها، ويزيده من فضله(٣).

٦- ومكن له في الأرض، وبسط له الرزق فيها، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ (٤).

فبين سبحانه أنه وطَّأ للناس الأرض، وجعلها لهم قراراً يستقرون فيها، ومهاداً يمتهدونها، وفراشاً يفترشونها، وجعل فيها معايش يعيشون بها أيام حياتهم، من مطاعم ومشارب، وهذه نعم منه سبحانه وإحسان منه لنا لكي نشكره وحده، فلا نعبد غيره(٥).

=

) والحميدي في مسنده (١ / ٤٠٧) برقم (٤٤٣) (حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢/ ١٠٤٤).

(١) سورة النحل: ٧٨.

(٢) سورة لقمان: ١٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١٥٤/٦).

(٤) سورة الأعراف: ١٠.

(٥) جامع البيان للطبري(٤٣٥/٥).

ثانياً: نعمة الرزق والتسخير:

١- نعمة الطعام والشراب:

يقول الله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١)، ويقول سبحانه: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۖ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٢)، فأمرهم سبحانه بأكل ما أحل لهم، وشكر ما أنعم عليهم(٣).

ويقول جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٤).

فأمرهم مع أكلها بالشكر، فمن أكلها ولم يشكر ترك ما أمر الله به، واستحق العقوبة(٥).

٢- نعمة تسخير الأنعام لمنافع الإنسان:

يقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٦).

---

(١) سورة البقرة: ٥٧.

(٢) سورة النحل: ١١٤.

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (٥٥٩/١).

(٤) سورة البقرة: ١٧٢.

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (٤٣٤/١).

(٦) سورة يس: ٧١-٧٣.

ويقول جل ذكره: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)، فسخر الله عامة الدواب والأنعام لمنافع الإنسان، ومنها البدن، فإنه لولا تسخيرها له لم يكن له بها طاقة، ولكن ذللها له، رحمة به، وإحساناً إليه، فكانت نعمة توجب شكر الباري عليها(٢).

٣- نعمة تسخير البحر للانتفاع به:

يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٣)، ويقول جل ذكره: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤).

فعن طريق البحر يتنقل من مكان إلى مكان، ومنه يستخرج المأكل والملبس، فنعمة تسخير البحر من أعظم النعم، ولذا خصصه بتعقيب الشكر؛ لأنه أقوى في باب الإنعام، من حيث إنه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش(٥).

---

(١) سورة الحج: ٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢٩٧/٥).

(٣) سورة لقمان: ٣١.

(٤) سورة النحل: ١٤.

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي (٥٤٠/١).

أي ولتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم، إذ جعل ركوب البحر مع كونه مظنة للهلاك سببًا للانتفاع وحصول المعاش، مع عدم الحاجة إلى الحل والترحال والاستراحة والسكون(١)

٤- نعمة إرسال الرياح، وإحياء الأرض بعد موتها، بإنبات الزروع وتفجير العيون:

يقول الله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

ويقول جل ذكره: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣).

فالله تعالى يرسل الرياح أمام المطر مبشرة بنزوله، وذلك بإثارتها للسحاب، ثم جمعها، فتستبشر بذلك النفوس قبل نزوله، ثم ينزل المطر وفيه حياة للبلاد والعباد، وفي هذا دعوة إلى شكر من سخر لنا هذه الأسباب، وسير لنا الأمور، فهو المقصود من النعم؛ إذ بالشكر يزيدنا الله منها ويديمها علينا، وأما مقابلتها بالكفر والمعاصي فهو حال من بدل نعمة الله كفراً، وعرض نفسه للهلاك في الدنيا والآخرة(٤).

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن١٥/١٦٠

(٢) سورة يس: ٣٣-٣٥.

(٣) سورة الروم: ٤٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١٣٧/٦).

٥- نعمة تعاقب الليل والنهار:

يقول الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (١).

ففي هذه الآيات يعدد سبحانه بعض نعمه على عباده: نعمة النجوم، والشمس والقمر، ونعمة تعاقب الليل والنهار، فالحركة والتحصيل في النهار، والسكون في الليل.

٦- نعمة الوقت والعمر:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (٢).

فأقسم الله جل وعلا بالدهر والوقت؛ لأن الإنسان إذا لم يستعمل نفسه وعمره فيما يوجب له الفوز الدائم، فهو في خسران؛ لأنه عمل في إهلاك نفسه وعمره، وهما أكبر رأس ماله(٣).

ويقول الرسول ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(٤)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟، وماذا عمل فيما علم؟**»(٥).

---

(١) سورة الفرقان: ٦١-٦٢.

(٢) سورة العصر: ١-٣.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي(٣٠٤/٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨ / ٨٨) برقم (٦٤١٢) (كتاب الرقاق ، باب : لا عيش إلا عيش الآخرة) .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه (٤ / ٢١٧) برقم (٢٤١٧) (أبواب صفة القيامة =

٧- نعمة السلاح، ونعمة تعلم صناعته، لرد كيد كل طاغية وظالم[١]:

يقول الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [٢].

٨- نعمة الزوجة الصالحة، والولد الصالح:

يقول الله تعالى في بيان أن الزوجة الصالحة نعمة: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [٣]، ويقول جل ذكره: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤]، ويقول جل ذكره في بيان نعمة الولد الصالح في أمر دينه ودنياه[٥]:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [٦].

=

والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي في مسنده (١ / ٤٥٢) برقم (٥٥٤) (مقدمة المؤلف ، باب من كره الشهرة والمعرفة)، وأبو يعلى في مسنده (١٣ / ٤٢٨) برقم (٧٤٣٤) (حديث أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير للطبراني(١٢٢١/٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي(٢٥٨/٥).

(٢) سورة الأنبياء: ٨٠.

(٣) سورة النحل: ٧٢.

(٤) سورة الروم: ٢١.

(٥) جامع البيان للطبري(١٤٤/٦).

(٦) سورة الأعراف: ١٨٩.

المبحث الثاني: أسباب الإعراض عن الشكر

إن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى، ومع ذلك فإن المتأمل في أحوال المسلمين يجد – مع الأسف الشديد – صوراً خطيرة في مقابلة تلك النعم، من إعراض عن شكره، واستغراق في معصيته.

وفي هذا المبحث يجدر بنا أن نقف على أسباب هذا الإعراض عن شكر النعم، فإنه متى عرف الداء عرف الدواء.

فمن هذه الأسباب:

أولاً: الجهل بالله جل وعلا، من حيث إنه الخالق الرازق المتفضل المنعم لكل النعم، ونسبة النعم إلى غيره ممن لم ينعم بها على الحقيقة، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (١).

فالشكر ناتج عن الإيمان بالله، والاعتراف بأنه الرب الخالق الرازق الذي ربي جميع العاملين بنعمه وكفران نعمه ناتج عن الجهل بأنه المنعم سبحانه، ويقول جل ذكره: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢)، فدلت الآية على: أن أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم، وإغفالهم مواضع النعم(٣).

---

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) سورة غافر: ٦١.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٨٢/٧).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

فبين عز وجل أن كل النعم منه سبحانه، فمن تجاهل ذلك، ونسبها إلى غيره فهو مستحق للعقوبة جزاء كفره.

وقد أنزل الله عقوبته بقارون عندما نسب النعمة لنفسه وعلمه، وتجاهل المنعم بها على الحقيقة وهو الله تبارك وتعالى.

يقول الله تعالى في بيان حاله: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٢).

ثانياً: الجهل بأفراد النعم، خصوصاً النعم العامة الشاملة لجميع الناس، وسائر المخلوقات كنعمة الهواء والماء، فلا يرى لنفسه اختصاصاً بها، ولا يعدها نعمة.

---

(١) سورة النحل: ٥٣-٥٥.

(٢) سورة القصص: ٧٦-٨١.

وما يدري أنه لو فقد هذه النعم كيف سيكون حاله؟ ، يقول الله جل وعلا: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (١).

ثالثاً: إغواء إبليس وإضلاله(٢):

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ (٣).

فأقسم إبليس على إغواء بني آدم، وذلك بإضلالهم عن طريق الحق، وتزيين الباطل لهم، وترغيبهم في الدنيا، وتشكيكهم في الآخرة، وصرفهم عن الشكر لله على نعمه؛ وبذلك يهلكون كما هلك(٤).

وقد حصل ما سعى إليه، فحقق رغبته، ووجد من يتبعه على غوايته، فهؤلاء قوم سبأ قد اتبعوه في كفره لنعم ربه، وتكبروا عن طاعته، وإعراضه عن شكره، وأنه كان ظناً ظنه لا علماً للغيب عن ربه.

قال تعالى ذكره: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ

(١) سورة النحل: ٨٣.

(٢) مكاشفة القلوب لأبي حامد الغزالي (٢١١).

(٣) سورة الأعراف: ١٦-١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧١/٧).

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

رابعاً: الانهماك في طلب الدنيا، والانشغال بالمصالح الخاصة، مما يؤدي بالإنسان إلى الغفلة عما يجب عليه من شكر النعم، فلا يلتفت إلى وجود شيء من النعم، ولا إلى من أنعم بها؛ لتعلق قلبه وشغله بغيرها، كما قد أشغلته عن سائر الطاعات، وأوقعته في كثير من المحاذير والموبقات(٢).

يقول الله جل وعلا: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (٣).

أنعم الله عليهم بالأمن في الأوطان، كما أنعم عليهم برغد العيش وتوافر سبل الرزق، فأخلدوا إلى هذا النعيم، ونسوا شكر المنعم الكريم، بل أساءوا استخدام النعم فعوقبوا بالنقم.

خامساً: استصغار العبد لنعم الله عليه، وجهله بمن هو أقل منه حالاً ومالاً(٤).

يقول الله جل وعلا في بيان حال بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو

(١) سورة سبأ: ١٥-٢٠.

(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (٢٨٨).

(٣) سورة النحل: ١١٢.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي(٩٣).

بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (١).

أنعم الله عليهم بالمن والسلوى طعاماً طيباً نافعاً، لكنهم استحقروا هذه النعمة، وطلبوا استبدالها بأطعمة دنيئة لدناءتهم.

فأعرضوا عن شكر نعم الله عليهم، باستقلالهم النعم التي ينعمون بها، وطلبهم كل نعمة عند غيرهم، فاستحقوا بذلك عذاب الله وغضبه(٢).

ولقد حذر الرسول ﷺ من استصغار النعم؛ لكونه صارفاً عن شكرها، فقال: «**انظروا**

إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله»(٣).

سادساً: استحضار المصائب، ونسيان النعم: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ (٤)، فالكنود هو الكفور الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه(٥).

سابعاً: اتباع النفس وما تهوى: يقول الله جل وعلا: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(١ / ٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨ / ١٠٢) برقم (٦٤٩٠) (كتاب الرقاق ، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه) ، ومسلم في صحيحه (٨ / ٢١٣) برقم (٢٩٦٣) (كتاب الزهد والرقائق) دون ذكر الباب.

(٤) سورة العاديات: ٦.

(٥) جامع البيان للطبري(٦٧٢/١٢).

شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١).

فهذا رجل آتاه الله من نعمه وآياته ما يوجب شكره وطاعته، لكنه كفر النعمة بأن أعرض عن آيات ربه، واستعملها في غير طاعته، إيثاراً للدنيا، وخضوعاً لهواه، فكان جزاؤه أن أزال عنه نعمه، وأضله عن سبيله(٢).

ثامناً: التعاطي للمعاصي، والاستمرار عليها، يقول الله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣)

فكانوا ظالمين معرضين عن شكر نعم الله؛ لمقابلتهم النعم بالمعاصي(٤).

تاسعاً: اعتقاد كثير من الناس أن هذه النعم التي ينعمون بها هي إكرام لهم من الله، وحقيقة الأمر أنها للامتحان والابتلاء؛ ليُعرف الشاكر من الكافر، فإذا لم يعرف الإنسان أنها للامتحان فإنه لاشك معرض عن شكرها. يقول الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٦٧/٢)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٦٩/١).

(٣) سورة البقرة: ٥٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٤/١).

(٥) سورة الأنبياء: ٣٥.

فبين سبحانه أن تفضله على عباده بالنعم هو اختبار لهم ليظهر الشاكر له سبحانه من المعرض عنه [1].

عاشراً: الكبر:فالتكبر بسبب الغنى والنعم يُنسي المُنعم، ويصرف عن شكره.

يقول الله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [2].

عن ابن مسعود ﷺ قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد؛ أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن[3]:﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [4].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٣٦/٢).

(٢) سورة الأنعام: ٥٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٤/٢).

(٤) سورة الأنعام: (٥١-٥٣). وسبب النزول أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٩٢٨) برقم (٤٠٦٥) (مسند عبد الله بن مسعود ﷺ) ، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند(٧/ ٩٢)، والبزار في مسنده (٥ / ٤٠٩) برقم (٢٠٤١) (مسند عبد الله بن مسعود ﷺ)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢١٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/٧)، قال البوصيرى في مصباح الزجاجة (٤/ ٢١٩) إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

فهم أعرضوا عن اتباع الهدى، الذي هو مقتضى شكر الله على نعمه، وذلك لكبرهم، حيث رأوا أنهم أهل غنى وجاه، فكيف يجتمعون مع أهل فقر وحاجة؟.

فهذه أهم أسباب الإعراض عن شكر الله، وإن كانت تجتمع في: الجهل بالنعم، والجهل بالمُنعم.

الفصل الثاني : أساليب القرآن في الدعوة إلى الشكر

المبحث الأول: أسلوب الأمر بالشكر والنهي عن ضده

١ – لقد أمر الله تعالى عباده بشكره على نعمه في آيات كثيرة من كتابه، فقال سبحانه: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١).

ففي هذه الآية أمر من الله لنبيه موسى عليه السلام بأن يكون شاكراً لله على إحسانه إليه وتفضله عليه بنعمه العظيمة، التي منها أنه كليم الله.

وفي هذا دعوة لكل عباد الله أن يكونوا شاكرين لله(٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (٣).

ففي الآية أمر صريح بالشكر لكل منعم متفضل.

٢ – وإذا كانت الآيات السابقة قد طالبت بالشكر عن طريق الأمر الصريح المباشر، فإن هناك آيات أخرى طالبت بالشكر عن طريق التوجيه والترغيب.

كقوله تعالى:﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾(٤)، فقوله:﴿ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ استفهام يتضمن الأمر بالشكر لله تعالى على ما أنعم به على عباده(٥).

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٨/٧).

(٣) سورة لقمان: ١٤.

(٤) سورة الأنبياء: ٨٠.

(٥) النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان (٤٧٣/١).

وقال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (١).

ففي تخصيص نوح هنا بالذكر، وخطاب العباد بأنهم ذريته، إشارة إلى الاقتداء به، فإنه أبوهم الثاني، فأمر الذرية أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر، فإنه كان عبداً شاكراًلله(٢).

وقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣) فقد حمد الله نفسه، وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علم ذلك عباده، فهو ثناء على الله، وفي ضمنه أمر من الله لعباده بأن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٥).

فقوله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم مع استمتاعهم بها(٦).

وقال جل ذكره: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧).

(١) سورة الإسراء: ٣.
(٢) عدة الصابرين لابن القيم (١٥٢).
(٣) سورة الفاتحة: ٢.
(٤) جامع البيان للطبري(٩٠/١).
(٥) سورة يس: ٣٥.
(٦) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٦٧/٧).
(٧) سورة القصص: ٧٣.

فكأن الحق جل جلاله يذكر نعمه وآلاءه، ثم يعقب على ذلك بالتوجيه إلى الشكر؛ لكي يشعر المنعم عليهم بأن واجب التقدير للنعمة يستلزم شكر النعمة وتقديرها حتى يكون ذلك داعياً إلى استمرار المزيد منها[١].

٣ – وإذا كانت الأشياء تتميز بضدها، وتبدو أهميتها عند مقارنتها بما يناقضها، فإن القرآن الكريم قد سلك هذا المسلك في بيان أهمية الشكر، وخطر الكفر.

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾[٢].

ففي هذه الآية أمر من الله لعباده بشكره، فإنه سبحانه ذو فضل ونعم على خلقه، منها : تبصيره إياهم سبيل الهدى، وتحذيره لهم طريق الردى، وغير ذلك من نعمه التي ينعمها عليهم في دنياهم ودينهم، كما أحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت بعد إماتته إياهم، وجعلهم لخلقه عبرةً يعتبرون بهم، وليعلموا أن الأمور كلها بيده سبحانه؛ فيستسلموا لقضائه، ويقبلوا على طاعته، وينصرفوا عن معصيته.

ثم نهى سبحانه عباده عن كفران نعمه وعدم شكره، وبين أن هذا هو حال أكثر الناس، فهو سبحانه ينعم على عباده بالنعم الجسيمة، وهم ينصرفون عنه إلى عبادة غيره ممن لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، وإنما الأمر كله بيد الله؛ فوجب ألا يعبد ولا يشكر إلا إياه[٣].

وقال عز وجل: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[٤].

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي(١/١١٧).

(٢) سورة البقرة: ٢٤٣.

(٣) جامع البيان للطبري(٢/٥٠٦).

(٤) سورة البقرة: ١٥٢.

وقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (١).

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى عبده الصالح لقمان بأن يكون شاكراً لله على نعمه، التي منها نعمة إعطائه الحكمة التي هي العلم بالأحكام ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام(٢).

وبين سبحانه أن من يشكر فإنما يشكر لنفسه؛ لعود ثمرات شكره عليه.

ثم نهى وحذر سبحانه من كفران النعمة وعدم شكرها؛ إذ إن عاقبة كفره ستعود عليه بالوبال والخسران.

فالله سبحانه غني عن كل شيء، فلا يحتاج إلى شكر الشاكرين، وهو حقيق بالحمد، بل نطق بحمده كل موجود(٣).

(١) سورة لقمان: ١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١٥٤/٦).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٤٧٥/٥).

المبحث الثاني: أسلوب التفصيل في أسباب الشكر

إن نِعَم الله جل وعلا لا تعد ولا تحصى، وقد جاء القرآن الكريم مبيناً لها، مفصلاً في ذكرها، داعياً إلى شكرها.

وهذه النعم تنقسم من حيث العموم إلى خمسة أقسام:

١- نعمة الخلق والإيجاد.

٢- نعمة الرزق والتسخير.

٣- نعمة الهداية والتوفيق.

٤- نعمة التشريع.

٥- نعمة الفوز والنجاة.

القسم الأول- نعمة الخلق والإيجاد:

يقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ (١).

فأخبر الخالق سبحانه أن كل مخلوق خلقه فإنه أحسن خلقه، وجعل خلقه يليق به.

ثم خص الكلام عن الآدمي لشرفه وفضله، فبين أنه خلق آدم من طين، ثم جعل ذريته من نطفة ضعيفة، ثم سواه بلحمه وأعضائه وأعصابه وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل عضو منه بالمحل الذي لا يليق به غيره.

(١) سورة السجدة: ٦-٩.

ونفخ فيه الروح، فدبت فيه الحياة، وما زال سبحانه يعطينا من المنافع والنعم(١).

ويقول الله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (٢).

فبين سبحانه أن من نعمه على عباده أن مكن لهم في الأرض، وجعلها لهم قراراً، وجعل فيها رواسي وأنهاراً، وجعل لهم فيها منازل، وسخر لهم السحاب لإخراج الزرع، وجعل لهم فيها أسباباً يكتسبون بها من أجل العيش.

كما أنعم عليهم بنعمة الخلق لهم من العدم، وتصويرهم في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق، علقة، ثم مضغة ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم أنشأهم خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، فكيف لا نكون له بعد ذلك من الشاكرين؟(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٤).

ففي هذه الآية بين سبحانه بعض نعمه على عبادة الداعية لهم إلى شكره، والقيام بعبادته.

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١٧٩/٦)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤٨٤/٥).
(٢) سورة الأعراف: ١٠-١١.
(٣) جامع البيان للطبري(٤٣٦/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٠٢/٢).
(٤) سورة المؤمنون: ٧٨.

فهو الذي أوجد لهم السمع ليدركوا به ما يدور عندهم من مسموعات، والبصر ليدركوا به المبصرات مما حولهم من عظيم خلق الله وصنعه، ومنحهم العقول التي تميزوا بها عن البهائم، وبها يدركون النافع من الضار.

ثم لينظروا في واقعهم ممن فقد أحد هذه الأعضاء كيف حاله؟ وهل يتمنى أحدهم أن يكون مثله؟ بالطبع لا، إذاً فلِمَ الإعراض عن شكره والتناسي لنعمه؟[1].

القسم الثاني- نعمة الرزق والتسخير:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2].

هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته، حيث جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا فيه من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه.

كما جعل لهم الليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم، من تعب حركة النهار، فهذا من فضل الله ونعمه على عباده؛ إذ لا يقدر على ذلك إلا الله جل وعلا.

وقال قبل ذلك: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٦٩/٥).

(٢) سورة القصص: ٧٣.

(٣) سورة القصص: ٧١-٧٢.

وفي هذا تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويقيسها بحال عدمها؛ إذ بذلك تظهر قيمة تلك النعمة وأهميتها(١).

ويقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

فبين سبحانه تفضله على عباده بأن خلق لهم الأنعام المتعددة الأجناس، وجعلهم متصرفين فيها بالاستقلال، مختصين بالانتفاع بها، لا يزاحمهم في ذلك غيرهم، وهم مع ذلك قادرون على ضبطها، فهي منقادة لهم، بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح لها، وكل منها له منفعة وفائدة، فمنها ما هو للركوب والتحميل، ومنها ما يؤكل لحمه، ومنها ما يشرب لبنه، ومنها ما ينتفع بجلده وصوفه، إلى غير ذلك من منافعها التي توجب شكر المنعم بها سبحانه(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤).

ففي هذه الآية يذكر سبحانه نعمة من نعمه على عباده، وهي تسخيره البحر لمنافع الناس التي منها: ركوبهم السفن التي تجري على البحر بقدرة الله وحفظه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٤/٦).

(٢) سورة يس: ٧١-٧٣.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٧٩/٧).

(٤) سورة الجاثية: ١٢.

ومنها: استخراجهم منه الأكل الحلال، والملبس الثمين، إلى غير ذلك، والواجب إزاء هذه النعم أن تشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم، فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه(١).

ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

ففي هذه الآيات يمتن الله على عباده ببعض نعمه التي منها: نعمة إنبات الزرع، فإن العباد يبذلون الأسباب بإلقاء البذر والسقي بالماء لكن لا ينبت الزرع إلا بقدرة الله وإرادته سبحانه، مع قدرته سبحانه على أن يجعله هشيماً متكسراً متفتتاً بعدما اكتمل نماؤه، وحان وقت حصاده.

ومنها: نعمة الماء العذب الفرات الذي له منافع كثيرة، ومن أهمها : منفعة الشرب الذي به الحياة، فإنه منزل من عند الله، ولو شاء الله لجعله ملحاً زعاقاً لا يمكن شربه ولا الانتفاع به، فنعمة إحياء الزرع ونعمة إنزال الماء نعم توجب شكر المنعم وعدم إفسادها أو منعها نعمة أخرى توجب أيضاً الشكر له وحده(٣).

(١) جامع البيان للطبري(٢٥٥/١١).

(٢) سورة الواقعة: ٦٣-٧٠.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٩٧/٨).

القسم الثالث- نعمة الهداية والتوفيق:

يقول الله تبارك وتعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (١).

فهذا نبي الله يوسف عليه السلام أثنى على الله وحمده على أن هداه لدينه الحق، لا كحال أكثر الناس الغافلين عن نعمة الهداية والتوحيد(٢).

القسم الرابع- نعمة التشريع:

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣).

فبين سبحانه أنه يريد مع تطهيره لعباده من الذنوب بطاعتهم له فيما فرض عليهم من الوضوء والغسل إذا قاموا إلى الصلاة، بالماء إن وجدوه، وتيممهم إن لم يجدوه، أراد سبحانه أن يتم نعمته عليهم بإباحته التيمم لهم، وتصييره لهم الصعيد الطيب طهوراً رخصة منه لهم في ذلك مع سائر نعمه

(١) سورة يوسف: ٣٨.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي(١٧٣/٤)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٤٨٤/١).

(٣) سورة المائدة: ٦.

التي أنعم بها عليهم، كل ذلك ليشكروه سبحانه على نعمه التي أنعم بها عليهم بامتثالهم أمره، واجتنابهم نهيه[١].

القسم الخامس- نعمة الفوز والنجاة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [٢].

ففي هذه الآية يذكر الله عباده المؤمنين بأنهم كانوا أذلاء مهانين من قبل أعدائهم، فأنعم عليهم بمأوى يسكنون فيه آمنين، ونصرهم على أعدائهم، ورزقهم من الخيرات الكثير.

وكل هذه نعم منه سبحانه تستوجب دوام الشكر له عليها[٣].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [٤].

فبين سبحانه أن من شكره على توفيقه وهدايته إياه لدينه، فإن له الثواب العظيم والأجر الكريم في جنات النعيم[٥].

---

(١) جامع البيان للطبري(٤/٤٨٠).

(٢) سورة الأنفال: ٢٦.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي(٣/٢٣٣).

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥) جامع البيان للطبري(٣/٤٥٥)، وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١/٣٠٥).

المبحث الثالث: أسلوب القصة وضرب المثل

المطلب الأول: أسلوب القصة

لقد قص القرآن الكريم علينا كثيراً من القصص التي تهدف إلى الترغيب في الشكر والترهيب من ضده، ومن هذه القصص ما يلي:

١- قصة سبأ:

إن قصة قوم سبأ لتعتبر نموذجاً عملياً واقعياً لكل من تمرد على أوامر الله، واستعمل نعم الله في معصيته، فأنزل الله به بأسه، جزاء كفره، وإعراضه عن شكره.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (١).

(١) سورة سبأ: ١٥-٢١.

أمر الله قوم سبأ بشكر نعمه التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة:

١- الجنتان اللتان غالب أقواتهم منهما.

٢- أن الله جعل بلدهم بلدة طيبة؛ لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.

٣- الماء العذب، حيث جعله وسيلة للرفاه والخصب والغنى، وأرشدهم إلى حسن استغلاله، والتصرف فيه.

٤- أن الله تعالى وعدهم إن شكروه أن يغفر لهم ويرحمهم.

٥- أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة، هيأ لهم من الأسباب ما به تيسير وصولهم إليها، بغاية السهولة من الأمن وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل الزاد والمزاد[١].

أنعم عليهم بكل ذلك وأمرهم مقابل ذلك بشكره، فقال سبحانه: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾.

فهنا عطف الشكر لله على الأكل من رزق الله، باعتبار أن الشكر لله ثمرة من ثمار أكل رزقه، ونتيجةٌ لذلك الأكل وشرطٌ للانتفاع بالأكل، وإشارةٌ إلى أن شكر الله المنعم سبب لاستمرار الرزق والزيادة منه، وعدم الشكر سبب لزوال النعمة، وقطع الأرزاق[٢]، لكنهم أعرضوا عن شكر نعم الله، وكفروا به، ورفضوا عبادته وشكره، وتولوا عن طاعته، وآثروا الهوى والشهوات، واستخدموا نعم الله في معصيته.

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢٦٩/٦).

(٢) مع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي(٢٠٢/٣).

وبذلك حقت عليهم سننه، فما من أمة تكفر بالله، وتستخدم نعمه في الكفر والجحود، إلا ويحل بها عذاب الله، فيسلبها النعم، ويوقع بها الهلاك.

وجاءهم عذاب الله سريعاً كما توحي بذلك الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾ فالفاء للترتيب مع التعقيب الفوري.

فحول الله نعمته عليهم إلى نقمة، وخيره إلى عذاب جزاء بغيهم وكفرهم.

الماء كان نعمة أنشأوا به الجنات، وحجزوه خلف السد، وعاشوا به سعداء أغنياء، والماء نفسه جعله الله نقمة وعذاباً، فأرسل عليهم سيلاً عرماً من خلف السد، وكان بهذا الماء تدمير جناتهم وهلاك مزروعاتهم، وعادوا به أذلاء فقراء.

أما الجنتان فبقيتا جنتين من حيث الظاهر لا من حيث الحقيقة؛ إذ ذهبت أشجارهما وثمارهما، وأنبت الله مكان الأشجار أشجاراً صحرواية مرة شائكة.

هذا هو البديل الذي حصلوه بسبب كفرهم، وشتان بين ما كانوا فيه من رغد ونعيم وبين ما صاروا إليه من بؤس وجحيم(١).

وعلى أنقاض سد مأرب(٢)، وعلى آثار التدمير والهلاك... وقف القرآن يعقب ويبين الحكمة مما جرى لسبأ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ﴾.

(١) مع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي (٢٠٣/٣).

(٢) مأرب يكسر راؤها ويفتح ،وهي مدينة من أعظم مدن اليمن شهرة وتاريخا، وقد ذكرنا شطرا من قصتها في «سد مأرب» وما زالت مأرب معروفة بآثارها العجيبة، تقع شرق صنعاء بما يقرب من مائتي كيل، وهي عامرة مأهولة. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (٢٧٨).

فبين سبحانه أنه عاقبهم بسبب بغيهم، وما وقع بهم هو نتيجة كفرهم، والجزاء من جنس العمل، وعلى الباغي تدور الدوائر.

كما استجاب الله دعوتهم إذ قالوا: ﴿ بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ فتنكروا لهذه النعم، وجحدوا هذا الإحسان، ونسوا ربهم، ولم يرجوا له وقارا، ولم يعملوا له حسابا.. فكان أن أخذهم الله بما يأخذ به الظالمين، فأرسل عليهم سيلا عارما جارفا، أتى على جنتيهم، وأفسد كل صالحة فيها.. ثم أعقبهم جدبا وقحطا، فأمسك الماء عنهم، ونبت مكان هاتين الجنتين ما ينبت فى الأرض الجديب، من خسيس النبات والشجر، ومن ردىء الفاكهة والثمر.. [1].

إنها سنة عامة لكل قوم في كل زمان ومكان، فما من قوم يبدلون نعمة الله كفراً، ويعيشون حياتهم في ظلم وفسوق وفساد، إلا ويسلبهم الله تلك النعم ويوقع بهم العذاب والهوان، ويزولون من موقع التأثير والإنتاج، وينتقلون إلى زاوية الإهمال والنسيان، ويصيرون أحاديث الناس على مر الأزمان[2].

٢- قصة قارون:

إن في هذه القصة التي سجلها الله عز وجل في كتابه عبرة للمعتبرين وذكرى للمتقين.

يقول الله جل ذكره: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٩٨).

(٢) مع قصص السابقين في القرآن لصلاح الخالدي (٣/٢٢٦).

﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1].

كان قارون من قوم موسى وعلى شاكلتهم في الكفر والطغيان، وزاد عليهم في الكبر والطغيان بسبب ما لَهُ من متاع الدنيا، فكانت مفاتيح خزائن أمواله تثقل عن حملها الجماعة الكثيرة من الرجال والبغال.

ولقد نصحه قومه وحذروه من الاغترار بزخارف الدنيا والفرح بها فرحاً شديداً يشغله عن شكرها والقيام بحق الله فيها[2]؛ إذ لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها، واطمأن إليها، وأعرض عن الآخرة والعمل لها[3].

ودعوه إلى مقابلة الإحسان بالإحسان، وصرف ما أُنعم عليه فيما يرضي الرحمن.

وإنما قال تبارك وتعالى: ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ تنبيهاً على قوله جل وعلا: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[4]. فعاقبة الشكر الزيادة، وعاقبة الكفران الإبادة[5].

هذ نصيحة قومه فما موقفه؟

بيّن الله تعالى موقفه بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا

(١) سورة القصص: ٧٦-٧٧.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٤٣٣/٥).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤٣٠/٣).

(٤) سورة إبراهيم: ٧.

(٥) التفسير الكبير للرازي (٢٥/١٣).

يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [1].

كان موقف قارون من نصح قومه: أن تمادى في تكبره وطغيانه، وقال بكل فخر واعتزاز: إن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولمحبته لي وتقديره.

فرد الله عليه بأن كثيراً ممن هلكوا قبله كان لهم من الأموال والقوة أكثر مما له، وليس هذا دليلاً على استحقاقهم لها، ولا دليلاً على محبة الله لهم، فإنهم ما هلكوا إلا بسبب كفرهم بنعم الله وعدم شكرهم للمنعم بها جل ذكره[2].

لكن قارون لم يعتبر بذلك ولا بنصيحة قومه له، فكانت النتيجة كما قال تعالى: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [3].

فكان جزاؤه عكس فعله وما أراده حين علا في الأرض فخسف الله به الأرض، وهذا هو جزاء كل من صرف نعم الله في غير طاعته، وأعرض عن شكره وعبادته[4]، كما قال سبحانه: ﴿ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.

---

(١) سورة القصص: ٧٨-٨٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٣٩٩).

(٣) سورة القصص: ٨١-٨٢.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (٤/٤٣٤)، وانظر: تيسير المنان في قصص القرآن لأحمد فريد (٣/١٦١).

٣- قصة أصحاب الجنة:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[١].

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدي إليهم من الرحمة العظيمة، وهي بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والإعراض، مع ما أنعم الله به عليهم من النعم العظيمة ليشكروه لا ليكفروه، فلما أعرضوا عن الرسول ﷺ ودعوته ابتلاهم الله بالجوع والقحط بدعوة الرسول ﷺ عليهم جزاء كفرهم وإعراضهم[٢].

فمثلهم كمثل أصحاب الجنة ذات الثمار اليانعة والمياه الجارية، كانت هذه الجنة لرجل يؤدي حق الله منها فمات، وصارت إلى أولاده فتمالئوا على منع الناس من خيرها، وعدم أداء حق الله فيها.

فأتاها عذاب الله وهم نائمون، فدمرها، وصارت كالبستان الذي صرمت ثماره، فلم يبق فيه شيء.

---

(١) سورة القلم: ١٧-٣٣.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٥٩/٧).

ولما جاء الصباح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى قطع ثمارها، وعزموا على منع المساكين، وطلبوا حرمانهم، وهم قادرون على نفعهم، فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على الحرمان، وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين، فحرموا أنفسهم، ولما وصلوا إليها إذا بالجنة الخضرة الناضرة قد صارت سوداء مدلهمة، لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق، ثم تيقنوا أنها هي جنتهم، ولكنهم حرموا خيرها بسبب سوء صنعهم وعدم شكرهم.

عندها قال أخيرهم: هلا شكرتم الله على ما أعطاكم وأنعم به عليكم؟ فرجعوا إلى الله، وسألوه أن يعوضهم خيراً منها، فأتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع.

فهذا جزاء من كفر نعم الله في الدنيا ولم يشكره، وعذاب الآخرة أشد من هذا وأعظم(١).

٤- قصة بني إسرائيل:

يقول الله تعالى في بيان حال بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾(٢).

أمر الله بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة – بيت المقدس – وكان هذا لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام، وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٦/٤)، وانظر: من هدي القرآن الكريم لزاهر أبو داود (١٠٩).

(٢) سورة البقرة: ٥٨-٥٩.

أمكن الفتح، ولما فتحوا أمروا أن يدخلوا باب البلد سجداً شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، ورد بلدهم عليهم وإنقاذهم من التيه والضلال.

كما أمرهم أن يقولوا: حطة، أي: يستغفروا الله على ما كان من خطاياهم.

لكنهم خالفوا أمر الله، وبدلوا أمره لهم بالخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً، فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا : حنطة[١] وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه، بسبب فسقهم وعدم شكرهم لنعمه بخروجهم عن طاعته[٢].

المطلب الثاني: أسلوب ضرب المثل

ما أجملَ عاقبة الشكر والاعتراف بالنعم، وما أسوأ عاقبة الجحود وكفران النعم، فالجزاء من جنس العمل، ونعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى:

فكم من نعمة أنعم الله بها على عباده: نعمة الإيمان والإسلام، ونعمة الصحة العافية ، ونعمة العقل والعلم، ونعمة الأمن والسلام، ونعمة المأكل والمشرب، ونعمة المسكن والملبس ونعمة السمع والبصر واللسان واليدين والقدمين... وغير ذلك كثير؛

وقد ذكرنا ربنا في كتابه العزيز بعاقبة من جحد نعمه،وكفر بها بأسلوب ضرب المثل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦ / ٦٠) برقم (٤٦٤١) (كتاب تفسير القرآن ، باب وقولوا حطة)، ومسلم في صحيحه (٨ / ٢٣٧) برقم (٣٠١٥) (كتاب التفسير) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٠٠).

فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١).

هذا مثل يصدق على كل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة، فكفروا، وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته، وعذابه.

والمراد بالآية مكة وأهلها، فإنها كانت ذات أمن لا تُغزى ولا يهاج أهلها، ولا يغار عليهم، فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها بسبب الخوف من العدو كما يأتي على بعض القرى من إغارة أهل الشر عليها، وطلب الإيقاع بها، وقد كان أهل مكة يرحلون إلى الشام واليمن بتجارتهم، فلا يتعرض لهم أحد من العرب، فيأتون بالأرزاق والميرة إلى أهليهم، وذكر أن لهم رحلتين غير هاتين الرحلتين، فقد كان لهم رحلة إلى الحبشة ورحلة إلى فارس، وفي هذا النص امتنان على قريش في وقت كان فيه الأمن مضطرباً، وكانت السبل تكاد تغص بقطاعها، وهم يتقلبون بأموالهم في البلاد جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً دون أن تمتد إليهم يد عادية(٢).

وكانت نفوسهم مطمئنة ساكنة لا قلق فيها ولا اضطراب، بخلاف غيرها من القبائل، فإنها لا تجد هذا الاستقرار الذي تتمتع به والأمن الذي ترفل فيه؛ إذ هي قبائل مختلفة متنافرة يعتدي بعضها على بعض فلا استقرار لهم بل هم في قلق دائم وخوف غير منقطع.

كما وسع الله عليهم في الرزق، وجعله مستمراً يأتيهم من كل ناحية من النواحي التي حولهم، فهم لا يحتاجون إلى الانتقال بسبب ضيق الرزق،

(١) سورة النحل: ١١٢-١١٤.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم للشريف العبدلي (٣١٥).

وفقد العيش، فقد توافرت لهم عوامل البقاء والسعادة من صحة، ومال، وأمن دائم.

لكن كيف كان موقفهم من دعوة الحق عند ما جاءهم بها البشير النذير؟.

كان موقفهم: أن أعرضوا عنه فلم يتبعوه، وكفروا بأنعم الله الدالة على تفرده بالألوهية، واستحقاقه للشكر، الذي يتمثل في طاعة أوامره، واجتناب نواهيه.

وعبر بجمع القلة (بأنعم) ليومئ إلى أنه إن كان كفران النعم القليلة يوجب العذاب، فما بالك بكفران النعم الكثيرة؟.

فلما قابلوا نعم الله بالجحود، ولم يقوموا بواجب شكرها انتقم الله منهم، فبعد أن كانوا في سعة لا يفقدون طعاماً يحتاجون إليه قطع الله عنهم ميرتهم التي كانوا يعتمدون عليها في بقائهم وصحة أجسامهم، وبعد أن كانوا في أمن مستمر وسلام دائم أصبحوا في اضطراب وقلق وخوف وفزع، وفي التعبير بهذا الأسلوب (لباس) ما يشير إلى أن الأثر الناشىء عن الجوع والخوف قد شملهم كما يشتمل الثوب على الجسد[١]. كان هذا جزاء كفرهم بنعم الله.

وفي هذا درس للأمم التي منحها الله النعم، أن تعبد الله وتشكره؛ لتبقى تلك النعم نعماً، وإلا فإن النعم نفسها تتحول إلى نقم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [٢].

(١)المرجع السابق ص (٣١٦).

(٢) سورة الأنفال: ٥٣.

المبحث الرابع: أسلوب بيان عاقبة الشكر وعدمه

لقد قرن الله جل وعلا في مواضع كثيرة من كتابه بين جزاء من شكره، وجزاء من كفره، وبين جزاءهم في الدنيا والآخرة دعوة وترغيباً في القيام بشكره سبحانه.

وتحذيراً من عاقبة الإعراض عنه، وكفره.

المطلب الأول: بيان عاقبة الشكر في الدنيا

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (١).

ففي هذه الآية وعد ووعيد، حيث وعد الله عباده الشاكرين لنعمه بطاعته، وعدهم بالزيادة في الدنيا من فضله ونعمه والإقبال على طاعته(٢).

أما المعرضون عن شكره الكافرون لنعمه، فما يضرون إلا أنفسهم، فإنه سبحانه غني عن شكرهم، مستحق للحمد في ذاته، محمود تحمده الملائكة بنعمته ذرات مخلوقاته، فما ضروا في الكفر إلا أنفسهم، حيث حرموها مزيد الإنعام، وعرضوها للعذاب والآلام(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة إبراهيم: ٧-٨.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي(٤/٢٥٦).

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (١/٥١٤).

(٤) سورة الأنعام: ٥٣.

فبين سبحانه أنه أعلم بمن كان من خلقه شاكراً لنعمه ممن هو كافر بها، فمن من عليه منهم بالهداية، فذلك جزاء شكره لنعمه، ومن خذل منهم عن سبيل الهداية، فذلك عقوبة كفرانه لنعمه، لا لغنى أحدهم وفقر الآخر، فالثواب والعقاب لا يستحقه أحد إلا جزاء على عمله الذي اكتسبه، لا على غناه أو فقره(١).

ويقول جل ذكره: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٢).

ففي هذه الآيات يبين سبحانه نعمة من أعظم نعمه على عباده، وهي إنجاؤه للمضطرين منهم من ظلمات البر والبحر، وهذه النعم تستوجب التوجه بالشكر الخالص لله جل وعلا، فإن هم أعرضوا عن شكره فليعلموا أنه قادر على تعذيبهم، إما بعذاب من فوقهم كالرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح؛ كما فعل بعاد وثمود، وقوم شعيب ولوط ونوح، أو بعذاب من تحت أرجلهم كالخسف والرجفة؛ كما فعل بقارون وأصحاب مدين.

أو يجعلهم فرقاً متناحرة يقاتل بعضهم بعضاً على أمور الدنيا(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ

(١) جامع البيان للطبري(٥/٢٠٥).

(٢) سورة الأنعام: ٦٣-٦٥.

(٣)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٣)،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/١٣٩)،

شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١).

فبعد أن أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالشكر له على نعمه، بين أن شكره يستلزم طاعة أمره واجتناب نهيه، وأن من لم يشكره فإن مصيره الهلاك والثبور في الدنيا، ويوم البعث من القبور.

ويقول الله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢).

فبعد أن ذكر سبحانه جملة من نعمه، بين موقف العباد منها:

١- فمن كفر بالله تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه الموجبة للإيمان به والشكر له.

فليعلم أن الله تعالى غني عن إيمانه وشكره، غير متأثر من انتفائهما، ومع ذلك فهو غير راضٍ عن كفره لأجل منفعته ودفع مضرته؛ لا لفوت منفعة له سبحانه أو دفع مضرة عنه جل جلاله.

٢- ومن شكر الله على نعمه، فإن الله راضٍ عنه لأجل منفعة العبد، فإن الشكر سبب لفوز العبد بسعادة الدارين؛ لا لمنفعة حاصلة له سبحانه(٣).

(١) سورة الأعراف: ١٤٤-١٤٥.

(٢) سورة الزمر: ٧.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٤٤/٧).

المطلب الثاني: بيان عاقبة الشكر في الآخرة

يقـــول الله تعـــالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١).

أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم، فسجدوا إلا إبليس فإنه أعرض واستكبر عن أمر الله، فلم يكن له من الشاكرين، فاستحق بذلك العقوبة، فطرده الله من رحمته وأضله.

وأقسم إبليس أن يضل بني آدم كما ضل، فلا يكونوا طائعين لله شاكرين لنعمه.

فأقسم الله أن من اتبعه من بني آدم وأطاعه أن يملأ منهم جهنم، وساءت مصيرا.

وأسكن الله آدم وزوجه الجنة، وهذا جزاء من أطاع الله وشكره، وعصى إبليس ولم يتبعه(٢).

ويقول جل ذكره: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴾(٣).

---

(١) سورة الأعراف: ١٦-١٩.

(٢) جامع البيان للطبري(٥/٤٤٩).

(٣) سورة فاطر: ٣٤-٣٦.

فبين سبحانه في هذه الآيات جزاء من شكر نعمه وأقبل على طاعته، فجزاؤه جنات عدن له فيها من كل نعيم، صافية من كل كدر ونكد، نعيم دائم، ورب كريم، وفي المقابل بين جزاء من كفر نعمه فأعرض عن عبادته.

فجزاؤه جهنم لا يموت فيها فيستريح، ولا يخفف عنهم من عذابها، بل كلما خبت زاد إسعارها(١).

ويقول سبحانه: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾(٢).

فبين سبحانه أنه إنما يعذب المخالفين لأمره المعرضين عن شكره، أما العبد الشاكر المؤمن فإنه سبحانه لا يعذبه، بل يشكره على طاعته، ويثيبه عليها، فيتقبل العمل القليل، ويعطي عليه الثواب الجزيل، فله الشكر والحمد سبحانه(٣).

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٥٤/٧).

(٢) سورة النساء: ١٤٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢٤/٥).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، حمداً يملأ السماوات والأرض وما بينهما، وما شاء ربنا من شيء بعد، بمجامع حمده كلها، ما علمنا منها وما لم نعلم، على نعمه كلها، ما علمنا منها وما لم نعلم، عدد ما حمده الحامدون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعدد ما جرى به قلمه، وأحصاه، كتابه، وأحاط به علمه.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، إمام المتقين الشاكرين، وحامل لواء الحمد يوم الدين ، أما بعد:

فبوصولي إلى خاتمة هذا البحث بفضل الله وتوفيقه فإني أذكر خلاصة ما توصلت إليه من نتائج في النقاط التالية:

١- أن أهل شكر الله هم أهل زيادته، وأهل ذكره هم أهل مجالسته، وأهل طاعته هم أهل كرامته.

٢- أن الشكر الحقيقي لله جل وعلا ؛ إذ حياة القلوب في معرفته ومحبته، وكمال الجوارح في التقرب إليه بطاعته، والقيام بخدمته.

٣- أن الشكر من كلمات القرآن الخالدة، ومصطلحات الشرع المقررة، ومن الألفاظ الإسلامية الشائعة، ومن شيم المسلمين العالية.

٤- أن الشكر واجب على كل مسلم؛ لورود الأمر الصريح به، والنهي عن ضده.

٥- أن الشكر مرتبط بسببه، وهو وجود النعمة، ونعم الله لا تعد ولا تحصى، فوجب دوام عبادته وشكره.

٦- أن الشكر نتيجة شرعية وعقلية لوجود النعمة.

٧- أن الشكر سبب لدوام النعم واندفاع النقم.

٨- أن الشكر صفة عباد الله الصالحين في الدنيا ويوم الدين.

وبعد فإني أحمد الله وأشكره أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً على تيسيره وتسهيله، وأسأله المزيد من فضله وتوفيقه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط٢، ٢٠١٠م .
- ershad al38l alslym ely mzaya alktab alkrym ،laby als3od al3mady m7md bn m7md bn ms6fy ،dar e7ya2 altrath al3rby ، byrot،62 ،2010m .
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة ، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- e7ya2 3lom aldyn ،laby 7amd m7md bn m7md alghzaly al6osy ، dar alm3rfa ،byrot ،62 ،1426h-.
- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٣٤هـ.
- adb aldnyawaldyn ،laby al7sn 3ly bn m7md bn 7byb almaordy ، dar almnhag ،gda ،61 ،1434h-.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- eroa2 alghlyl fy t5ryg a7adyth mnar alsbyl ،lm7md nasr aldyn alalbany ،almktb al eslamy ،byrot ،62 ،1405h-.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- adoa2 albyan fy eyda7 al8ran bal8ran ،lm7md alamyn bn m7md alm5tar alshn8y6y ،dar 3alm alfoa2d ،alryad ،61 ،1426h-.
- الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ala7adyth alm5tara mma lm y5rgh alb5arywmslm fy s7y7yhma ، dya2 aldyn abo 3bdallh m7md bn 3bd aloa7d alm8dsy ،t78y8: 3bd almlk bn 3bd allh bn dhysh ،dar 5dr ،byrot ،63 ،1420h-.

- الأمثال في القرآن الكريم، الشريف منصور بن عون العبدلي، عالم المعرفة، الطبعة١، جدة، ١٤٠٦هـ.
- alamthal fy al8ran alkrym ،alshryf mnsor bn 3on al3bdly ،3alm alm3rfa ،al6b3a1 ،gda ،1406h-.
- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المنار، الطبعة ١، الأردن، ١٤٠٨هـ.
- alt7fa al3ra8ya fy ala3mal al8lbya ،a7md bn 3bd al7lym bn tymya ،mktba almnar ،al6b3a 1 ،alardn ،1408h-.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ .
- altshyl l3lom altn-zyl ،laby al8asm m7md bn a7md bn gzy alklby ، dar alktab al3rby ،byrot ،62 ،1392h- .
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- alt3ryfat ،l3ly bn m7md bn 3ly alzyn alshryf algrgany ،dar alktb al3lmya ،byrot ،61 ،1403h-.
- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ.
- altfsyr al8rany ll8ran ،l3bd alkrym yons al56yb ،dar alfkr al3rby ، al8ahra ،61 ،1390h-.
- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ،الدار التونسية للنشر، تونس، ط ١، ١٩٨٤م.
- alt7ryrwaltnoyr ،lm7md al6ahr bn 3ashor ،aldar altonsya llnshr ، tons ،6 1 ،1984m.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، لمحمد بن عمر الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- altfsyr alkbyr (mfaty7 alghyb) ،lm7md bn 3mr alrazy ،dar e7ya2 altrath al3rby ،byrot ،63 ،1420h-.

- التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- alto8yf 3la mhmat alt3aryf ،l3bd alr2of bn tag al3arfyn almnaoy ، dar 3alm alktb ،byrot ،61 ،1410h-.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- algam3 almsnd als7y7 alm5tsr mn amor rsol allh wsnnhwayamh ،lm7md bn esma3yl alb5ary ،t78y8: m7md zhyr bn nasr alnasr ،dar 6o8 alngaa ،61 ،1422h-.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- algam3 la7kam al8ran ،m7md bn a7md al8r6by ،t78y8: a7md albrdony ،dar alktb almsrya ،al8ahra ،62 ،1384h-.
- الخلق الكامل، السيد قاسم شبر، مطبعة الآداب، النجف، ط١، ١٣٨٨هـ.
- al5l8 alkaml ،alsyd 8asm shbr ،m6b3a aladab ،alngf ،61 ،1388h-.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار الوفاء، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- alzry3a ely mkarm alshry3a ،ll7syn bn m7md alraghb alasfhany ، dar alofa2 ،al8ahra ،62 ،1408h-.
- السنن الكبرى. لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، . تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- alsnn alkbry. laby 3bdalr7mn a7md bn sh3yb alnsa2y ،. t78y8: 3bd alghfar slyman albndary, dar alktb al3lmya, byrot, 61 ، 1411h-.
- الشكر لله عز وجل، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- alshkr llh 3zwgl ،labn aby aldnya 3bd allh bn m7md ،m2ssa alktb alth8afya ،byrot ،61 ،1413h-.

– الشكر، لأبي حامد محمد الغزالي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- alshkr ،laby 7amd m7md alghzaly ،dar alfkr al3rby ،byrot ،61 ، 1411h-.

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

- alkshaf 3n 78a28 ghoamd altnzyl ،laby al8asm m7mod bn 3mr alzm5shry ،dar alktab al3rby ،byrot ،63 ،1407 h-.

ـ الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: أيوب بن موسى الحسيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

– alklyat ،laby alb8a2 alkfoy ،t78y8: ayob bn mosy al7syny ،m2ssa alrsala ،byrot ،62 ،1419h-.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- alm7rr alogyz fy tfsyr alktab al3zyz ،l3bd al78 bn tmam bn 36ya alandlsy ،t78y8: 3bd alslam 3bd alshafy m7md ،dar alktb al3lmya ،byrot ،61 ،1422h-.

– المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- almstdrk 3la als7y7yn ،laby 3bd allh al7akm m7md bn 3bd allh ، t78y8: ms6fy 3bd al8adr 36a ،dar alktb al3lmya ،byrot ،61 ، 1411h-.

– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- almsnd als7y7 alm5tsr bn8l al3dl 3n al3dl ely rsol allh □ ،lmslm bn al7gag al8shyry ،t78y8: m7md f2ad 3bd alba8y ،dar e7ya2 altrath al3rby ،byrot ،61 ،2001m.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس أحمد البوصيري ، تحقيق: محمد الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- msba7 alzgaga fy zoa2d abn magh ،laby al3bas a7md albosyry ، t78y8: m7md alkshnaoy ،dar al3rbya ،byrot ،62 ،1403h-.
- المعجم الصغير (الروض الداني)، لأبي القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي ، تحقيق: محمد شكور محمود ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- alm3gm alsghyr (alrod aldany) ،laby al8asm al6brany slyman bn a7md bn ayob all5my ،t78y8: m7md shkor m7mod ،almktb al eslamy , byrot ،61 ،1405h-.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، الدار الشامية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- almfrdat fy ghryb al8ran ،laby al8asm al7syn bn m7md alm3rof balraghb alasfhany ،t78y8: sfoan 3dnan aldaody ،aldar alshamya ،dmsh8 ،61 ،1412h-.
- الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط٢، ١٤٠٦هـ .
- almo6a ،lmalk bn ans bn malk alasb7y al7myry ،t78y8: m7md f2ad 3bd alba8y ،dar e7ya2 altrath al3rby ،byrot،62 ،1406h- .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق: طاهر الزاوي، المكتبة العلمية ، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- alnhaya fy ghryb al7dythwalathr ،labn alathyr mgd aldyn abo als3adat almbark bn m7md algzry ،t78y8: 6ahr alzaoy ، almktba al3lmya ،byrot ،61 ،1399h-.
- النهر الماد من البحر المحيط، لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: عمر الأسعد ، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

- alnhr almad mn alb7r alm7y6 ،laby 7yan athyr aldyn m7md bn yosf bn 3ly alandlsy ،t78y8: 3mr alas3d ،dar algnan ،byrot ،6 1 ،1407h-.

– الهدي النبوي في الرقائق، لشرف محمود القضاة، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ.

- alhdy alnboy fy alr8a28 ،lshrf m7mod al8daa ،dar alfr8an ،alardn ، 61 ،1408h-.

– الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبعة هلا، الرياض، ط٦، ١٤٠٦هـ.

- alosa2l almfyda ll7yaa als3yda ،3bd alr7mn bn nasr als3dy ، m6b3a hla ،alryad ،66 ،1406h-.

– أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- anoar altn–zylwasrar altaoyl ،l3bd allh bn 3mr albydaoy ،dar e7ya2 altrath al3rby ،byrot ،61 ،1418h.

– آيات الهداية والاستقامة، عطية محمد سالم، مكتبة دار التراث، الطبعة١، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.

- ayat alhdayawalast8ama ،36ya m7md salm ،mktba dar altrath ، al6b3a1 ،almdyna almnora ،1414h-.

– تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : عبدالرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ، تحقيق: محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، بيروت ط١، ١٤٢٠هـ.

- tfsyr al8ran al3zym labn aby 7atm : 3bdalr7mn bn m7md abn edrys alrazy ،t78y8: m7md al6yb ،almktba al3srya ،byrot 61 ، 1420h-.

– تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر ،الرياض ، ط٢، ١٤٢٠هـ.

- tfsyr al8ran al3zym ،l esma3yl bn 3mr bn kthyr ،t78y8: samy bn m7md slama ،dar 6yba llnshr ،alryad ،62 ،1420h-.

– تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٦٥هـ .

- tfsyr almraghy ،la7md ms6fy almraghy ،mktba ms6fy albaby al7lby ،al8ahra ،61 ،1365h-.

– تهذيب الأخلاق في الإسلام، لعبد المقصود عبد الغني خيشة، دار الثقافة العربية، مصر، ط٢، ١٤١٢هـ.

- thzyb ala5la8 fy al eslam ،l3bd alm8sod 3bd alghny 5ysha ،dar alth8afa al3rbya ،msr ،62 ،1412h-.

– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، إدارة الإفتاء، الطبعة ١، الرياض، ١٤٠٤هـ.

- tysyr alkrym alr7mn fy tfsyr klam almnan ،3bd alr7mn bn nasr als3dy ،edara al efta2 ،al6b3a 1 ،alryad ،1404h-.

– تيسير المنان في قصص القرآن، لأحمد فريد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٣هـ.

- tysyr almnan fy 8ss al8ran ،la7md fryd ،dar abn algozy ،aldmam ، 61 ،1413h-.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر ، مصر، ط١، ١٤٢٢ هـ.

- gam3 albyan 3n taoyl ay al8ran ،lm7md bn gryr al6bry ،t78y8: 3bd allh bn 3bd alm7sn altrky ،dar hgr ll6ba3awalnshr ،msr ، 61 ،1422 h-.

– دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي المكي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

- dlyl alfal7yn l6r8 ryad alsal7yn ،m7md bn 3lan alsdy8y almky ، dar alm3rfa ،byrot ،61 ،1425h-.

– زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٤هـ.

- zad almsyr fy 3lm altfsyr ،laby alfrg 3bdalr7mn bn 3ly algozy ، t78y8: a7md shms aldyn ،dar alktb al3lmya ،byrot ،61 ، 1414h-.

– سراج الطالبين شرح منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين ، لإحسان محمد دحلان، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- srag al6albyn shr7 mnhag al3abdyn ely gna rb al3almyn ،l e7san m7md d7lan ،dar alfkr ،byrot ،61 ،1411h-.

– سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١، ١٤١٥هـ.

- slsla ala7adyth als7y7a ،lm7md nasr aldyn alalbany ،mktba alm3arf ،alryad ،61 ،1415h-.

– سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١، ١٤١٥هـ.

- slsla ala7adyth ald3yfawalmodo3a ،lm7md nasr aldyn alalbany ، mktba alm3arf ،alryad ،61 ،1415h-.

– سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.

- snn abn maga ،lm7md bn yzyd al8zoyny ،t78y8: m7md f2ad 3bd alba8y ،dar e7ya2 alktb al3rbya ،al8ahra ،61 ،1420h-.

– سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

- snn aby daod ،laby daod slyman bn alash3th alsgstany ،t78y8: m7md m7yy aldyn 3bd al7myd ،almktba al3srya ،syda ،byrot ، 61 ،1417h-.

– سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ.

- snn altrmzy ،lm7md bn 3ysy altrmzy ،t78y8: a7md m7md shakr ، shrka mktbawm6b3a ms6fy albaby al7lby ،msr ،62 ،1395 h-.

- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١، ١٤٢٤هـ .
- snn aldar86ny ،laby al7sn 3ly bn 3mr aldar86ny ،t78y8 : sh3yb alarn2o6 ، m2ssa alrsala ،byrot ،61 ،1424h- .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان السبتي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢، ١٤١٤هـ .
- s7y7 abn 7ban btrtyb abn blban ،laby 7atm m7md bn 7ban alsbty ،t78y8 : sh3yb alarn2o6 ، m2ssa alrsala ،byrot ،62 ،1414h- .
- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ، دمشق، ط٣، ١٤٢٤ هـ .
- s7y7 abn 5zyma ،laby bkr m7md bn es7a8 bn 5zyma alslmy ، t78y8: m7md ms6fy ala3zmy ،almktb al eslamy ،dmsh8 ،63 ، 1424 h- .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- s7y7 algam3 alsghyrwzyadth ،lm7md nasr aldyn alalbany ، almktb al eslamy ،byrot ،61 ،1408h-.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٠هـ.
- 3da alsabrynwz5yra alshakryn ،lm7md bn aby bkr bn 8ym algozya ،dar alktab al3rby ،byrot ،64 ،1410h-.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- 3mda al7faz fy tfsyr ashrf alalfaz ،la7md bn yosf bn 3bd alda2m alsmyn al7lby ،t78y8 : m7md basl 3yon alsod ،dar alktb al3lmya ،byrot ،61 ،1417h-.

– قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي، تحقيق: محمود الرضواني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.

- 8ot al8lob fy m3amla alm7bob ،laby 6alb m7md bn 3ly bn 36ya almky ،t78y8: m7mod alrdoany ،dar alktb al3lmya ،byrot ،62 ، 1426h-.

– كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

- ktab al3yn ،laby 3bd alr7mn al5lyl bn a7md bn 3mro alfrahydy albsry ،t78y8: 3bd al7myd hndaoy ،dar alktb al3lmya ،byrot ، 61 ،1424h-.

– لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ.

- lbab altaoyl fy m3any altn-zyl ،l3ly bn m7md albghdady alm3rof bal5azn ،mktba ms6fy albaby al7lby ،al8ahra ،62 ، 1375h-.

– لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الإفريقي ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- lsan al3rb ،lgmal aldyn abn mnzor al efry8y ،dar sadr ،byrot ،63 ، 1414h-.

– محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

- m7asn altaoyl ،m7md gmal aldyn al8asmy ،dar e7ya2 altrath ،61، byrot ،1415h-.

– مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ.

- m5tsr mnhag al8asdyn ،la7md bn 8dama alm8dsy ،almktb al eslamy ،byrot ،63 ،1389h-.

– مدارج السالكين، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

- mdarg alsalkyn ،lm7md bn aby bkr bn 8ym algozya ،dar algyl ، byrot ،62 ،1419h-.

– مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

- msnd al emam a7md bn 7nbl ،laby 3bd allh a7md bn m7md bn 7nbl ،t78y8: sh3yb alarn2o6 ، m2ssa alrsala ،byrot ،61 ،1421h-.

– مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ .

- msnd albzar ،laby bkr a7md bn 3mro albzar ،t78y8 : m7foz alr7mn zyn allh ،m2ssa 3lom al8ran ،byrot ،61 ،1409h- .

– مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ، لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني ، الرياض، ط١، ١٤١٢ هـ .

- msnd aldarmy alm3rof b– (snn aldarmy) ،l3bd allh bn 3bd alr7mn bn alfdl aldarmy ،t78y8: 7syn slym asd aldarany ،dar almghny ،alryad ،61 ،1412 h- .

– مع قصص السابقين في القرآن، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ.

- m3 8ss alsab8yn fy al8ran ،lsla7 3bd alfta7 al5aldy ،dar al8lm ، dmsh8 ،61 ،1409h-.

– معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

- m3gm alfro8 allghoya ،laby hlal al7sn al3skry ،t78y8: m7md ebrahym slym ،dar al3lmwalth8afa llnshrwaltozy3 ،al8ahra ، 61 ،1424h-.

– معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث البلادي الحربي، دار مكة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ.

- m3gm alm3alm alggh‌rafya fy alsyra alnboya ،l3at8 bn ghyth alblady al7rby ،dar mka ،mka almkrma ،61 ،1402h-.

– مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، لأبي حامد محمد الغزالي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- mkashfa al8lob alm8rb ely 7dra 3lam alghyob ،laby 7amd m7md alghzaly ،dar e7ya2 al3lom ،byrot ،61 ،1410h-.

– من هدي القرآن الكريم، لزاهر أبو داود، دار المحبة، سوريا، ط٣، ١٤٠٣هـ.

- mn hdy al8ran alkrym ،lzahr abo daod ،dar alm7ba ،sorya ،63 ، 1403h-.

– منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان، مؤسسة قرطبة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

- mnar alsbyl fy shr7 aldlyl ،ebrahym bn m7md doyan ،m2ssa 8r6ba ،alryad ،61 ،1412h-.

– موسوعة أخلاق القرآن الكريم، لأحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ.

- moso3a a5la8 al8ran alkrym ،la7md alshrbasy ،dar alra2d al3rby ، byrot ،62 ،1409h-.

– نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ.

- noahd alabkarwshoard alafkar ،l3bd alr7mn bn aby bkr glal aldyn alsyo6y ،gam3a am al8ry ،mka almkrma ،61 ،1424h-.